﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر: 86]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربط الصّفح عن الآخرين، بكون الله هو الخلّاق العليم

لمّا أمر اللّه تعالى نبيَّه ﷺ، بالصَّفحِ عنهم أعقب الأمر بهذه الآية لتكون في موقع التّعليل للأمرِ بالصَّفح، أيْ: لأنَّ في الصَّفْحِ عَنْهُم مَصْلَحَةٌ لَكَ ولَهُم يَعْلَمُها رَبُّك، فمَصْلَحَةُ النَّبيِّ ﷺ في الصَّفْحِ هيَ كَمالُ أخْلاقِه، ومَصْلَحَتُهُم في الصَّفْحِ رَجاءُ إيمانِهِم[1].

وأيضًا لمّا ذكرَ خلق السماوات والأرضِ وما بينهم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بصيغة المبالغة في الوصفين لكثرةِ ما خلقَ وأنَّه تعالى عليمٌ بما خلقَ[2].

وأيضًا لمّا أخبر اللّه تعالى أنَّ السّاعة آتيةٌ قرّر أنّه تعالى قادرٌ عَلَى إقامَةِ السّاعَة، فإنَّهُ الخَلّاقُ الَّذي لا يُعجِزُهُ خَلْقُ ما يَشاءُ، وهوَ العَليمُ بِما تَمَزَّقَ مِنَ الأجْسادِ، وتَفَرَّقَ في سائِرِ أقْطارِ الأرْضِ[3].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾: الخَلْقُ أصلُه: تَقْديرُ الشَّيءِ[4]، والخَلْقُ في كلام العَرَبِ على وجهين: ابتداعُ الشَّيء على مثالٍ لم يسبق إليه[5]، والآخر: التَّقدير، تقولُ: خَلق اللّه الشَّيءَ يَخلُقه خَلْقًا أحدثه بَعْدَ أن لَم يَكُنْ، والخَلْقُ يَكونُ المَصْدَرَ ويَكونُ المَخْلوقَ[6]، ومن صِفات اللّه: الخالِقُ والخلّاقُ، ولا تجوز هذه الصِّفة بالألف واللّام لغير اللّه ﷻ، وهوَ الَّذي أوجد الأشياء جَميعَها بَعْدَ أن لَم تَكُنْ مَوْجودَةً[7]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/78.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/493.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/546.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلق).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خلق).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (خلق).
(7) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة: (خلق).

وتقولُ العَرَبُ: خَلَقْتُ الأديمَ: إذا قَدَّرته وقِسته لتقطع منه مزادَةً، أو قربةً، أو خفًّا[1]، والمقصود بالخلّاق في الآية: الموجدُ الأشياءَ على صورَةٍ مَخْصوصَةٍ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول اللّه تعالى: إنَّ ربَّك يا محمَّدُ ﷺ قادرٌ على إقامةِ السّاعة؛ لأنَّه هو الذي خلق كُلَّ شَيءٍ، فلا يُعجِزُه شَيءٌ، وسيُعيدُ خَلقَ عِبادِه يومَ البَعثِ، وهو العالِمُ بكُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه بما تفَرَّق من أجسادِ العبادِ، وعِلمُه بجميع أعمالِهم[2].

اللـه الخـلّاق لا يـعـجـزه شـيء، وهـو العليم بأحوال المخـلـوقـات وأفعالها

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

براعة تصدير الكلامِ بـ﴿إِنَّ﴾:

أفاد تصدير الكلامِ بـ﴿إِنَّ﴾ ربط الجملة بما قبلها وإيلافَها معها، ولو أسقطت ﴿إِنَّ﴾ رأيتَ جملة ﴿رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ قد تجافت عن سابقتِها ولا تكونُ منها بسببٍ، كما أفادت ﴿إِنَّ﴾ معنى التّعليلِ لقولِه: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[3]، والمعنى: لأنَّ اللّه تعالى هو الخلّاقُ لك ولهم ولسائر الموجوداتِ على الإطلاق، وهو العليمُ بأحوالك وأحوالِهم بتفاصيلها فلا يَخْفى عليه شيءٌ مما جرى بينك وبينهم، فهو حقيقٌ بأن تكِل جميع الأمورِ إليه ليحكُم بينكم، فلا تقابلهم إلّا بالصّفح والعفو، لأنَّ في الصَّفْحِ عَنْهُم مَصْلَحَةً لَكَ ولَهُم يَعْلَمُها رَبُّكَ، فمَصْلَحَةُ النَّبيِّ ﷺ في الصَّفْحِ هيَ كَمالُ أَخْلاقِهِ، ومَصْلَحَتُهُم في الصَّفْحِ رَجاءُ إيمانِهم، فالخلق العظيم وصفك والجزاء عندنا، ومجيء الرّبط بجملة مصدَّرة بـ﴿إِنَّ﴾ لتكون بمثابة التّعليل لما سبقَها كثيرٌ في التّنزيل جدًّا ولا سيَّما بعد

أمـر الـرّسـول الأكـرم بالصّفح الـجـمـيـل، والـجـزاءُ عند الجليل

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (خلق).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/546، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 434.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 9/58.

الطّلبِ، كقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحج: 1][1].

بلاغةُ التَّذييلِ في الآية الكريمة:

الجملة تجري كالمثل، في حكايتها والاستدلال بها

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، جاءت الجملة بطريق التّذييل؛ لتفيد تأكيدَ مفهومِ قولِه: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾، وفيها معنى العمومِ والكلّيَّةِ، ولمّا كانت الجملةُ مستقلّةً بالإفادة جرت مجرى المثل في الاستقلالِ وفشوِّ الاستعمال.

غرض التّوكيد في الآية الكريمة:

إقامة الكافرين مقام المنكرين، والله الخلّاق بشأنهم عليم

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، أفاد التّوكيد بـ ﴿إِنَّ﴾ وضميرِ الفصل تحقيق مضمون اتّصاف الله تعالى بأنّه هو الخلّاق العليم، ويلمحُ فيه إقامة الكافرين المكذّبين مقام المنكرين لكونِ الله هو الخلّاق العليم بكفرِهم وتكذيبِهم رسولَه الأمين ﷺ.

نكتةُ اختيارِ عنوان الرّبوبية في الآية:

الصّفح الجميل عن المسيئين، هو من تربية الله لرسوله الأمين

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، لمّا كانت الجملة بمثابة التَّعليل لأمرِ رسولِه محمَّدٍ ﷺ بالصَّفحِ الجميل عن المسيئين ناسبَ أن يصفَ ﷻ نفسَه بعنوان الرّبوبيَّة دون (إنَّ الله) للإشارةِ إلى أنَّ الذي هو ربُّه والقائم بأمره دومًا والمتكفِّلُ بشأنِه والمتولّي مصلحته لا يَأْمُرُهُ إلّا بِما فيهِ صَلاحُهُ ولا يُقَدِّرُ إلّا ما فيهِ خَيره[2]، ليفيد أنَّ الصّفحَ الجميل عن المسيئين هو من تربية الله لرسوله ﷺ، وهو من كمالاتِ خلُقِه ﷺ، وهو أقربُ لاستمالةِ قلوبِ المسيئين المكذّبين.

غرضُ إضافة الرّبوبيّة إلى ضمير الخطاب:

حثُّ المؤمنين على التخلُّق بخلقِ الصّفحِ الجميل مع جميع النّاسِ

لمّا كان المقامُ مقامَ خطابٍ لرسولِه محمَّدٍ ﷺ بما دلَّ عليه

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 316، والزمخشري، الكشاف: 2/587، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/88، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/78.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/79.

خطابُ الأمر في قولِه ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ ناسبَه أن يضاف لفظ الرّبوبيَّة إلى ضمير الخطاب، بمعنى إنَّ ربَّك القائمَ بشؤونِك هو الذي يبلِّغك غايةَ الكمالِ، ولمّا كان حقُّ الخطابِ أن يكون لمخاطبٍ معيَّنٍ لكنَّه قُصِدَ به العمومُ، أي: غيرُ المعيَّنِ[1] قصدًا إلى أنَّ العلمَ بكونِ اللّه تعالى هو الخلّاقَ العليمَ ليس مختصًّا بواحدٍ دونَ واحدٍ، فيكون حثًّا للمؤمنين على التخلُّق بخلقِ الصّفحِ الجميل مع جميعِ النّاسِ، ويدخل في الخطابِ سيدنا محمَّدٌ ﷺ دخولًا أوّليًّا لمناسبةِ المقامِ كما تقدَّم.

سببُ ذكر ضمير الفصلِ ﴿هُوَ﴾:

خلق الكون لا يقدر عليه سوى الله سبحانه

أفاد ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ التّخصيصَ والتأكيدَ، بمعنى ليس من خلّاقٍ عليمٍ سوى ربِّكَ، ليفيدَ أنَّ خلقَ السماوات والأرضِ وما بينهما لا يقدرُ عليه سوى اللّه تعالى.

بلاغةُ اجتماع وصفي ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾:

البِشارَةُ بأنَّ الله يَخْلُقُ مِنْ أصلابِ المكذّبين به، من يكونونَ أوْلياءَ له

أفادَ اجتماعُ الوصفين أنَّه هو الذي خلق المكذّبين وخلق كلّ شيء، وبدأ بذكر صفة الخلّاق لمناسبتِه ما أخبر به عن أنَّه تعالى خلق السماوات والأرضَ وما بينهما، واقتران وصف الخلّاقِ بخلق السماوات والأرضِ واردٌ في القرآن في قولِه ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١﴾ [يس: 81]، ولمّا كان هو الذي خلقَهم وخلقَ كلَّ شيءٍ ناسبَه هنا أن يقرن به صفة العليم؛ ليفيدَ أنَّه تعالى عالم بهم وبتدبيرهم، وما يأتون منَ الأفعال السيِّئة القبيحة، فيجيزهم بها يومَ قيامِ السّاعة، ولمّا جاءت الجملة في موضعِ التّعليل للأمر بالصَّفحِ أفاد الكلامُ أنَّ ربَّك هو الخلّاقُ لخلقه؛ العليمُ بمصالحهم بأنَّ الصفح الجميل عنهم أصلحُ من مجازاتِهم على إساءَتِهم، وفيه إيماءٌ إلَى بِشارَةِ النَّبيِّ ﷺ بأنَّ

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 180.

اللّه يَخْلُقُ مِنْ أولَئِك مَنْ يَعْلَمُ أنَّهُم يكونونَ أوْلياء للنبيِّ ﷺ وهُمُ الَّذينَ آمَنوا بَعْدَ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ والَّذينَ وُلِدوا بعد ذلك، وهذه نُكْتَةُ لِذكر وصف ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ دونَ غَيرِهِ مِنَ الأسْماءِ الحُسْنَى[1].

نكتةُ بناءِ صفة ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ على (فعّال):

لـم يستأصل الله كفّار قريشٍ بـالإهـلاكِ، لأنّـه سيخلق مـن أصلابِـهـم مؤمنين

تقدَّم أنَّه تعالى ذكر وصفَ الخلّاقِ لمناسبتِه أنَّه سبحانه خلق السماوات والأرضَ وما بينهما، وأفادت صيغة فعّال كثرةَ ما خَلَقَ وكثرةَ أنواعِه، أي: كثرةَ المفعول، وأنَّه تعالى الفاعل للخلق مرَّةً بعد مرَّةٍ، ففيه إيذانٌ بأنَّه تعالى سيخلق مَن يرفع أمرَ هذا الدين من أصلاب كفّار قريش، ولهذا لم يستأصلهم بالإهلاكِ[2].

نكتةُ بناءِ صفة ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ على (فعيل):

الإشـارة إلى كمال علم الله الّذي أحاط بكلّ شيء

أفاد مجيء صفة عليم بصيغة فعيل، المبالغة في وصفه تعالى بالعلم، ولمّا جاء الوصف محذوف المتعلَّق أفادَ ثباتَ وصفِ العلمِ على المبالغة بمعنى كمالِ علمِه ولزومِه له سبحانه.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/128، والماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 6/461، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/78.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/85، وابن التّمجيد، حاشية على البيضاوي: 11/194.